شبكة الموت

محمود سالم

شبكة الموت

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

شبكة الموت

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٩٢٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الفضاء الإلكتروني الخيالي!	١١
حكاية سايبرسبيس!	١٣
حرب الدوائر الإلكترونية!	١٧
اللقاء الخطير!	١٩
السقوط في بحيرة الجليد!	٢٧
الهروب في أنبوبة!	٣٥
المصيدة!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الفضاء الإلكتروني الخيالي!

انتصف ليلُ صحراء «مصر الغربية»، ولمَعَت النجوم، وهبط الظلام، وجلس «أحمد» بعد ساعة طويلة قضاها، حاول النوم، كانت هناك فكرةٌ قد طرأَت على ذهنه، أثارَت قلقَه وخطفَت النومَ من عينَيه.

لقد تأخر رقم «صفر» في الاتصال بهم، وهذا دعاهم إلى التساؤل عن مصير عملهم ... إذا ما رحل عنهم يومًا ما. إلا أن ساعة يد «أحمد»، لم يرضها أن تتركَه يُعاني من هذا القلق، فوخزَته في رسغه؛ لتُخبرَه أن هناك رسالة، عليه أن يتلقَّاها. وتعجَّب «أحمد»، فمِن مَن تكون هذه الرسالة؟ لعلها تكون من رقم «صفر».

تلقَّى الرسالة في لهفة ... وحلَّ شفرتها، ليشعرَ بعدها بسعادة بالغة ... فالرسالة من رقم «صفر» يقول فيها: لماذا أنت ساهرٌ يا «أحمد»؟ وفيمَ تفكر؟

ردَّ «أحمد» قائلًا: لا شيءَ مهمٌّ.

قال رقم «صفر»: إذن أراكم غدًا في السادسة مساءً. المكان ... غرفة الاجتماعات الصغرى. ولكم تحياتي ...

استيقظ «أحمد» تمامًا وغادر غرفتَه إلى حديقة المقرِّ، وجلس ينظر إلى السماء الصافية المرصَّعة بالنجوم؛ ليُريحَ أعصابه من عناء التوتر والقلق على رقم «صفر» ... حتى هدأَت أعصابه، وبعد قليلٍ توجَّه إلى غرفة نومه.

في السادسة من مساء اليوم التالي ... التقى الشياطين برقم «صفر»، وقد بدأ لقاءَه معهم بقوله: مساء الخير ...

أعرف أنكم قلقتم لغيابي، وأشكركم على اهتمامكم بي. ولديَّ مهمةٌ جديدة لكم ... وسأقرأ عليكم التقرير الخاص بها.

أولًا كلُّكم تعرفون أن العالم الآن أصبح قريةً صغيرة. ليس بسبب التقدم في عالم المواصلات والاتصالات وانتشار الأقمار الصناعية وأطباق الاستقبال، التي أتاحَت لكل سكان العالم ... أن يُتابعوا مسلسلًا يُعرض على إحدى القنوات الفضائية في وقت واحد.

وليس أيضًا بسبب متابعة المهرجانات الرياضية؛ كدورة «أتلانتا» التي أُقيمَت مؤخرًا، في نفسِ وقتِ إذاعتِها وبثِّها. وكذلك كل الأحداث العالمية المهمة. بل إن العالم أصبح قريةً صغيرة ... بسبب التقدم المذهل في علوم الكمبيوتر، والتي أثمرَت في النهاية ... عن شبكة الإنترنت!

والتي يُطلق عليها البعض «الفضاء الإلكتروني الخيالي»، وهو بالمناسبة يحمل نفسَ المعنى العربي لاسم العصابة التي سنتعامل معها في هذه المهمة ... عصابة «سايبرسبيس».

حكاية سايبرسبيس!

استطرد رقم «صفر» قائلًا: لقد أتاحَت شبكة «الإنترنت» لأكثر من ٣٠ مليون إنسان في جميع أنحاء العالم الاتصال ببعضهم عن طريقها، مستخدمين في ذلك أكثر من ٩ ملايين جهاز كمبيوتر مشترك في هذه الشبكة. وعن طريقها تعارفَ مجموعةٌ من الشبان، من جنسيات مختلفة، والملفت للنظر أنهم جميعًا من الدول المتقدمة، وقد أجمعوا على أن الثروات الطبيعية الموجودة في أرض العرب ... ليست ملكًا لهم، بل إنها ملكُ مَن يقدرها، ويستطيع استثمارها ... والاستفادة منها.

وهم يرون من وجهة نظرهم القاصرة طبعًا، أن الدول العربية ليست أهلًا لهذا، ويستدلون على ذلك بأنهم يبيعون بترولهم خامًا، ويكدسون أموالهم في بنوك أمريكا وأوروبا، ويستوردون كلَّ شيءٍ بنقودهم، حتى إن هناك دولًا كبيرةً كالصين مثلًا أصبحت تعجُّ بالمصانع التي تصنع لهم كلَّ شيء.

قال «أحمد»: أليس هذا حقيقيًّا؟

قال رقم «صفر»: نعم ولكن وكما تعرفون؛ فالحكومات العربية أنفقَت الكثير من عائدات بترولها ... على تنمية وتعمير دولها ... وبناء الكثير من المصانع ... ولها استثماراتٌ عديدةٌ في كثير من دولِ العالمِ.

إلهام: أقلُّها الدول العربية!

رقم «صفر»: هذا صحيحٌ ... ولكنهم الآن يتجهون إلى الدول العربية ليستثمروا فيها أموالهم، وهذا يعني أنهم أهلٌ لامتلاك هذه الثروة، وكيف لا يكون ذلك ... وهم أصحاب الحضارة، التي مهَّدَت الطريق لتقدُّمِ أوروبا والعالمِ بأسرِه. المهم أن هذه الجماعة من الشبان لديهم أفكارٌ يعتقدون أنها قيِّمة، عن مشروعات ينقصها التمويل. وقد وجدوا ضالتَهم ... في نفس المنطقة. من خلال مستثمرٍ عربيٍّ يُدعَى «منجي الثاقب»، يعيش في

دولة أوروبية، ويستثمر أمواله في شراء القصور ... والشقق الفاخرة والمتاجرة فيها. وقد اشترى بعضَ المحلات الشهيرة، وأصبح يستعين بالكمبيوتر في تنظيم أعماله.

أحمد: ومن هنا، وعن طريق الكمبيوتر تعاملَت العصابة معه ...

رقم «صفر»: هذا صحيحٌ ... فقد اشترك في شبكة الإنترنت؛ لتسهل السيطرة على أعماله المنتشرة في الكثير من دولِ العالمِ.

ريما: وبالتالي أصبح هناك مجالٌ للدخول على اتصالاته بالشبكة.

رقم «صفر»: نعم ... وقد مارسوا عليه ضغوطهم ... بإيهامه أنه إنْ لم يخضع لهم، سيقع فريسةً سهلةً لهم؛ فبإمكانهم تدميرُ المخزونِ من المعلوماتِ، في كافةِ أجهزةِ الكمبيوترِ الخاصةِ بإدارةِ أعمالِه، عن طريق «فيروس الكمبيوتر» ... مما قد يسبِّب له خسائرَ بالملايين، وهم أيضًا يعملون على محاولةِ اختراقِ كودِ حساباته السرية في البنوك والسرقة منها إذا لم يخضع لهم. وحدَّدوا مطالبهم منه ... وهي: مشاركتهم في أرباح شركاته والتي تُقدَّر بالملايين.

عثمان: ولماذا لم يستعِن بخبراء كمبيوتر محترفين لتأمين اتصالاته؟

رقم «صفر»: لقد فعل هذا ... وهذا ما أثارهم ... ودفعهم لبثِّ «فيروس الكمبيوتر» على البرنامج الخاص بأحد مشروعاته، مما سبَّب له خسائرَ تُقدَّر بالملايين. وتسبَّبَت في إرباكه ... فأوقف عمليةَ الاستعانة بالخبراء. ولغرابة القضية وحداثتها، فقد أسندت للمنظمة لخبرتها في التعامل مع مثل هذه الأساليب الحديثة والغريبة في الجريمة أن تحميَه من هذه المنظمة. وسأترك لكم الوقت للتفكير جيدًا في القضية، واقتراح ما يمكن عمله، والمطلوب منكم دراسةٌ وافية لكل جوانب الموضوع وإعدادُ تقريرٍ فرديٍّ لكلٍّ منكم، يحوي تصوره الشخصي لكيفية التعامل مع هذه القضية. وتقريرٌ جماعيٌّ، شاملٌ، وافٍ تُعِدُّونه سويًّا.

لديكم الخبراء، ومعامل المقرِّ، برجاء الاستعانة بهم، وسأترك لكم تحديدَ موعد اللقاء الثاني. لكم تحياتي وشكرًا.

سمع الشياطين أزيزًا خافتًا لمقعد رقم «صفر»، ثم صوت خطواته البطيئة الواثقة تبتعد. فتوجهوا إلى مائدة مستديرة في أحد أركان القاعة، وجلسوا حولها يلفُّهم الصمتُ ما بين مفكر ومترقب إلى أن قالت «ريما»: هل سنُحاربهم على الشاشة؟!

أحمد: هذا ممكن.

إلهام: ولكننا لم نعتَد هذا النوع من الحرب!

عثمان: نعم ... فأشعر بأنني ألعب على جهاز أتاري، أو أُلاعب أحدَ أجهزة الكمبيوتر!

مصباح: نحن نريد التعاملَ المباشرَ مع إنسانٍ ... لنشعرَ بلذةِ المواجهة.

أحمد: أنت عندما تُلاعب الكمبيوتر «شطرنج» مثلًا، فأنت تلاعبُ مصممَ البرنامج ... وهذا يعني أنك في حالةِ مواجهةٍ مستمرة، مع عقل الإنسان وبراعاته.

إلهام: نعم ... ولكن المواجهة ليست عقلًا فقط ... بل مواجهةٌ ... وانفعالٌ وردودُ أفعالٍ.

أحمد: معكم حقٌّ. ولكن لا تنسَوا أن الحرب على شبكة الإنترنت ستكون بين إنسان وإنسان من خلال الشاشة. وليست بين إنسان وبرنامج.

عثمان: وكرتي الجهنمية، مع مَن سأستخدمها؟

مصباح: وما تعلمناه من فنون الكاراتيه!

أحمد: ولماذا تصورتم المواجهة بيننا وبينهم على «الإنترنت» فقط؟ تأكدوا أن المواجهة الفعلية بيننا وبينهم ستكون أهمَّ مراحلِ العملية.

ثم نهض واقفًا وهو يقول: ولنبدأ الآن بإعداد تصورنا عن العملية، ثم سار متجهًا إلى غرفة المعلومات، ومعه باقي الشياطين. وعلى أجهزة الكمبيوتر تفرَّقوا، وبرأسِ كلٍّ منهم العديد من التصورات المبهمة وأسئلة تحتاج إلى إجابة، وكان أهم ما عرفوه، أن منظمة الشياطين ... كانت من أوائل المشتركين في الشبكة، وأنها تحصل منها على ما تريد معرفته فقط، ولا تبثُّ عليها معلوماتٍ تخصُّها، لشكِّها في عامل الأمان الذي يحميها، ووجود احتمال تسرُّب هذه المعلومات إلى جهات معادية؛ فقد وقعَت حوادثُ مماثلةٌ لذلك؛ كحادثة طفل الثالثة عشرة، الذي تلقَّى عن طريق هذه الشبكة كيفية صناعة قنبلة، وأحداث أخرى كثيرة، منها ... الاستيلاء على حسابات في البنوك وتحويل أرصدتها لصالحِ أشخاصٍ آخرين.

إلا أن «ريما» قد اندهشَت كثيرًا، عندما علمَت أن إيراد شبكة «الإنترنت» عام ٢٠٠٠ يُقدَّر بحوالي ٤٥ ألف مليون دولار في أمريكا وحدها. والتفتَت تبحث عن «أحمد» لتُخبرَه بما عرفت، فلم تجده، فقد كان في هذه اللحظة قابعًا وحده في غرفة الاتصال بصحبة جهاز الكمبيوتر، فهو يعرف كيف يُجري الاتصالات التليفونية ... على شاشته باحترافٍ، فماذا كان يدور برأسه؟!

لقد التقط «أحمد» على شاشة الكمبيوتر أحد الهواة يقوم بالتجول، بحثًا عمَّن يتخاطب معه على الشاشة. إنه «بيتر» من لندن طالبٌ في الصف الثاني الثانوي، ومن هواة الكمبيوتر، وقد أقام «أحمد» معه حوارًا جذبه إليه، وتطرَّق في الحديث معه، إلى الحوارات المفتوحة بين أعضاء الشبكة، وألمح إلى الجماعات المنظمة التي تعتنق أفكارًا معينة، وكان يقصد بذلك معرفةَ ما إذا كان لديه علمٌ بجماعة «سايبرسبيس» ... أم لا؟

لم يكن لدى «بيتر» أية معلومات عنهم، ولكنه وعد «أحمد» بالسهرِ مع الكمبيوتر، حتى يصلَ إليهم، إلا أنه طلب منه أن يُحادثَه عن العرب وعن الإسلام، مما دفع «أحمد» لسؤاله عمَّا يعرفه هو عن الحضارة العربية، فهالَه أن صورةَ العرب لديه مشوهةٌ للغاية، وأفكاره عن الحضارة العربيةِ ... لا تتعدَّى حدودَ الجمل والصحراء، إنها الصورةُ التي يروِّج لها أعداءُ هذا الوطنِ، مع أنه مهبطُ الرسالات.

تواعد «أحمد» مع «بيتر» على ميعاد يومي، يلتقون فيه على شاشة الكمبيوتر، وودعه ليتجول مرةً أخرى بحثًا عن جماعة «سايبرسبيس».

فالتقط حوارًا علميًّا بين اثنين من علماء الإلكترونيات، وهذا ما دلَّ عليه حديثهم؛ فقد كانَا يتحدثان عن حرب الدوائر الإلكترونية، وكان الحوارُ شيقًا ومفيدًا مما دفعه لأن يتابعَه، ويسجل كلَّ كلمة يقرؤها على الشاشة ليستفيدَ منها في التقرير الذي سيُعدُّه من جهة، ومن جهة أخرى ... ليطلعَ الشياطين على أحدث اتجاهات الحروب ومبتكراتها.

وفي نفس الوقت الذي كان فيه الشياطين يُعدُّون تقاريرهم لعرضها على رقم «صفر». كان رقم «صفر» يتصل بهم ... فاختفَت المعلومات من على شاشات الكمبيوتر، ليظهرَ بدلًا منها، أعلى يمين الشاشة، دائرة حمراء تضيء وتختفي، ثم ظهرَت رسالة رقم «صفر» التي بدأت بتحية: مساء الخير. جاءنا من عملائنا في سويسرا أن ثريًّا عربيًّا آخر يُدعَى السيد «حسين الشريف» قد اتصلَت به جماعة «سايبرسبيس» ومارسَت معه نفس الضغوط التي مارسوها مع السيد «منجي الثاقب». برجاء التواجد في غرفة الاجتماعات الصغرى بعد أربعين دقيقة من الآن. على أن يكون معكم التقارير التي أعددتموها ... لكم تحياتي.

في قاعة الاجتماعات كانت التقارير التي أعدَّها الشياطين عن شبكة الإنترنت شيقةً للغاية، وتحوي الكثيرَ من المعلومات الهامة والمفيدة ... إلا أن ما قرأه عليهم «أحمد» في تقريره كان هو المفاجأة الكبرى بحق.

حرب الدوائر الإلكترونية!

قال «أحمد» في تقريره: إننا نتعامل مع عدوٍّ لا نراه، كلُّ ما بيننا وبينه أسطرٌ على الشاشة نقرؤها، ومع ذلك فتأثيرُ هذه الحرب مدمرٌ؛ لأن الكمبيوتر هو الذي يحوي كلَّ البيانات عن الشركات والحسابات، وحجم التعاملات وتدمير برنامج، يعني إهدار الملايين وارتباك الأسواق. والجديد في الأمر ... إنني ... أثناء بحثي عن جماعة «سايبرسبيس» حضرتُ بلا قصدٍ مناقشاتٍ ساخنةً عن «حرب الدوائر الإلكترونية»، وهي دوائر تبثُّ على الكمبيوتر، وتكون زائدة عن التصميم الأساسي. وتكون معدةً لتلقِّي الأوامر عبر الشبكة ومَن يملك مفتاح شفرتها ... يستطيع تدمير جهاز الكمبيوتر.

رقم «صفر»: تعني أننا نحتاج لعملاء، يستطيعون بثَّ هذه الدوائر على أجهزة الكمبيوتر الخاصة بجماعة «سايبرسبيس»؟

أحمد: نعم ... وبتدمير أجهزتهم وبرامجهم ... سينقطع بينهم الاتصال للأبد.

إلهام: وهل هذا يكفي؟ ألن ينالوا عقابهم على ما سبَّبوه من أضرار للسيد «منجي»؟

رقم «صفر»: هذه مرحلة لاحقة، وسنعمل على ألَّا يعودوا لنشاطهم هذا مرة أخرى.

توقَّف رقم «صفر» عن الكلام ... عندما سمعوا صفيرًا حادًّا متقطعًا، فعرفوا أنها رسالة هامة لا تنتظر، ثم شعروا برقم «صفر» يغادر القاعة متعجلًا دون أن يُنهيَ الاجتماع، فقبعوا في أماكنهم ... انتظارًا للأوامر وهم يتساءلون عمَّا حدث، وما الذي جعل رقم «صفر» ينصرف بهذه الطريقة؟!

وأول ما قاله رقم «صفر» عند عودته: صديقك «بيتر» الإنجليزي يا «أحمد» لقد طلبك على جهازك الشخصي، وقد كان موصلًا بالكمبيوتر المركزي ... فظن الخبراء أنه اقتحام،

ولولا عامل الأمان ... لأمكنه الدخول بعد ذلك على شبكتنا. برجاء الحذر بعد ذلك، ويمكنك الانصراف، فهو في انتظارك.

لم تَطُل غيبةُ «أحمد»؛ فقد عاد مهرولًا ... وقبل أن يلتقط أنفاسه، قال لاهثًا: «سايبرسبيس» اتصلوا بـ «بيتر».

اللقاء الخطير!

أكمل «أحمد» حديثَه قائلًا: والمدهش في الأمر ... أنهم كانوا يحضرون كلَّ لقاءاتنا أنا و«بيتر» دون أن نعلم، وبالطبع ... عرفوا أنني أبحث عنهم.

إلهام: وكيف عرف «بيتر»؟

أحمد: لقد اتصلوا به ... وطلبوا منه الانضمام إليهم ... وهو يحذِّرني من استخدام الكمبيوتر على نفس الرقم، ويطلب تغييرَه.

رقم «صفر»: هذه مهمة الخبراء. المهم أن تحاول إقناع «بيتر» بمعاونتنا ... وأن يتصل بهم ... ويُجاريهم إلى أن نستطيعَ تحديدَ أماكنهم بالضبط ...

وفي اجتماع «أحمد» مع رقم «صفر» شرح له كيف يحاول إقناعَ «بيتر» بفكرته وهو أن يرميَ لـ «سايبرسبيس» طُعمًا وبذلك يحاولون الاتصال به لمعاونته.

أحمد: إن لديَّ خطة لم تكتمل معالمُها بعدُ، وأطلب مهلةً أربعًا وعشرين ساعة لإنهائها وسأعرضها على سيادتكم بعد ذلك.

رقم «صفر»: إذن لقد انتهى الاجتماع الآن وميعادي معك يا «أحمد» بعد يومين ... شكرًا.

انصرف رقم «صفر» ... واتجهَت أنظارُ الشياطين كلها لـ «أحمد» تتساءل ... عن هذه الخطة التي وصلَت دقَّتُها ... إلى حدِّ تحديدِ موعدِ اكتمالها، وترى إلى ماذا وصل «أحمد»؟

في معامل المقر، كانت أجهزة الكمبيوتر كلها تعمل ... لسرعةِ حلِّ هذه القضية ومحاولة الاتصال بـ «سايبرسبيس». إلا أن «أحمد» ... قد عاود الاتصال بـ «بيتر»، وطلب منه معلومات عن تجارة الأسلحة ... وكيفية الدخول إلى هذا السوق، إلا أن «بيتر» اعترض على الحديث معه في مثل هذه الأمور الخطيرة، وقال له: إن لها رجالها ... وهو لا يحبُّ أن

يكون منهم. فوصفه «أحمد» بالجبن والقصور، فغضب لذلك كثيرًا، وهدَّد «أحمد» بقطع صلته به. ولكن الغريب في الأمر، أنه في اليوم التالي، اتصل به يعتذر له ... ويسأله مؤكِّدًا ... هل ما كان يقوله صحيحا؟ أم إنه كان يمزح معه؟ فأكَّد له «أحمد» صدْقَ نيته في هذا الأمر، فسأله «بيتر»: هل لديكم الأموال اللازمة لدخول هذا المجال؟

ردَّ «أحمد»: نعم، وأكثر من ذلك!

قال «بيتر»: ألستم تدَّعون أنكم مسالمون؟ ... وأن الغرب ظلمكم بما يروِّجه عنكم؟!

أحمد: وما دخلُ هذا وتجارة السلاح؟

بيتر: أليست تجارة غير مشروعة؟ ... ألا تزيد من الدمار في العالم؟

أحمد: بي أو بغيري ستستمر هذه التجارة، وسيستمر تدفُّق السلاح على دول العالم النامي.

انتهى اللقاء بين «بيتر» و«أحمد» ... وهو على يقين أنه غيرُ راضٍ عنه.

في اجتماع «أحمد» مع رقم «صفر» ... شرح له كيف يحاول إقناعَ «بيتر» بفكرته. في نفس الوقت، يرمي لـ«سايبرسبيس» طُعمًا، فسيحادثهم «بيتر» بما دار بينه وبين «أحمد»، مما سيسيل لعابهم، ويحاولون الاتصال به لمعاونته في هذه التجارة نظير مشاركته في الأرباح.

وقد صدق حدسُ «أحمد». ففي مساء نفس اليوم. اتصل به «بيتر» ليخبرَه بأنه تكلَّم في الأمر مع جماعة «سايبرسبيس»، وأنهم طلبوا منه، أن يأذن لهم للاتصال به، فشعر أن خطته تسير وفق ما أراد. وطلب عقد اجتماع عاجل يحدد فيه كيفية التفاوض معهم. وانتهى الاجتماع. ومرَّ يومان، ولم يتصل به أحدٌ كما توقَّع، فهو نوع من الحذر تمارسه الجماعة ... كعامل أمان لهم.

ظل «أحمد» في غرفته ومعه الكمبيوتر انتظارًا لاتصالهم، وفي مساء اليوم الثالث اتصل به «بيتر» يُخبره بأنهم سيلتقون به حالًا، وأنهى معه الحديث، وبعد عشر دقائق، تلقَّى أول اتصال من «سايبرسبيس» يطلبون فيه، أن يُعدَّ نفسه للسفر إلى دولة سوف يحددونها له، حيث سيلتقي به أحدهم هناك.

في مساء اليوم التالي ... تركوا له رسالةً عاجلة بأن اللقاء سيكون في فندق «لارباج» على بحيرة ... «لمان» بسويسرا على أن يكون وحده.

كان «أحمد» في هذا اليوم خارج المقر، وعند عودته وتلقِّيه الرسالة، اتصل برقم «صفر» الذي أمره بالاستعداد للسفر كما طلبوا منه، على أن يلحق به «بو عمير» و«زبيدة»

على الطائرة التالية، وقبل مغادرة المقر تلقَّى اتصالًا من «بيتر» يُخبره فيه أن أحدَ أعوان جماعة «إس إس» (اختصار سايبرسبيس)، سيترك له رسالةً مساءَ الغد في «المكسيم» ملتقى العرب في سويسرا.

غادر «أحمد» القاهرة، على الطائرة المتجهة إلى «سويسرا»، وفي رأسه العديدُ من التساؤلات؛ فهو حتى الآن لا يعرف مع مَن سيتعامل؟ هل مع جماعة الهواة المسمَّاة بـ «إس إس»؟ أم مع تجار السلاح الهواة؟ أم مع عصابات «المافيا»؟

ومَن يدري فربما كانت «سايبرسبيس» جزءًا من المافيا! وإن لم يكن الأمر كذلك، فهذا احتمال كبير ... إنهم يتعاونون معهم، أو يؤدون لهم خدمات. المهم أن تجارة السلاح نفسها هي من أخطر الأنشطة التي تمارسها العصابات، فهي تمول بالمليارات، ولا مجال فيها للخطأ.

خرج «أحمد» من القاهرة وهو يحمل اسمه كما هو ... ولكنه نسب لعائلة ثرية معروفة ... هي عائلة «زايد» ... وروَّج رقم «صفر» عنه أنه الوريث الوحيد لهذا الرجل، وأنه ورث عدة مليارات مكدسة في البنوك بأوروبا. وقد شُوهد كثيرًا في صالات القمار، وفي سباقات الخيل وهو يبحث عن مجال يستثمر فيه أمواله.

لم يخرج «أحمد» من شروده، إلا عندما سمع نداء إذاعة الطائرة الداخلية. تطلب من الركاب ربطَ الأحزمة استعدادًا للهبوط.

في مطار «جنيف» الفخم فوجئ بمن يستوقفه صائحًا: مستر «أحمد زايد» في «جنيف» يا لَها من مفاجأة، يا هلا هلا. ورحَّب به كثيرًا رغم أنه لا يعرفه. ولاحظ أنه يتعمَّد رفْعَ صوته بالحديث دون افتعال ظاهر، فهمس له قائلًا: مَن أنت؟

فرفع إبهامه في حذر، فشاهد شعار المنظمة مطبوعًا عليه. فجاراه في حرارة اللقاء، وعن بُعدٍ رأى فتاة حسناء تُراقبه في حذر، فعرف أنها من العصابة، وعرف قيمة ما يصنعه رقم «صفر» بدهائه الرائع. ومن خارج المطار، استقل تاكسيًا إلى فندق «لارباج» الذي أعجبه كثيرًا لفخامته وشموخه وموقعه الساحر على بحيرة «المان». فغادر التاكسي إلى موظفة الاستقبال التي أمرت له بمن يحمل الحقائب، وصَعِد معه إلى غرفته. وما إن اختلى بنفسه، حتى أخرج أسلحتَه الخفيفة من الجيوب السحرية بالحقيبة ثم أخذ حمَّامًا دافئًا، واستعدَّ للقاء «إس إس» في «المكسيم» ملتقى العرب.

كان «المكسيم» يعجُّ بالمغتربين العرب، الذين حضروا إلى «سويسرا» للسياحة والاستشفاء، والدراسة، والعمل ... فشعر «أحمد» بينهم بأنه في موطنه؛ حيث كان يسمع

اللغة العربية تتداول بكثرة بين أرجائه، والتفتَ يبحث عن ضالته، فرأى مَن يرفع يدَه صائحًا: مستر «أحمد زايد» ... نورت «جنيف»!

فابتسم له ... ثم نهض ذاهبًا إليه فحيَّاه بحرارة ... ودعاه الرجل للجلوس معه. فعرف أنها أوامر رقم «صفر». وبعد دقائق تركه عائدًا إلى مائدته مرة أخرى. منتظرًا «إس إس».

مرَّ الوقتُ ثقيلًا ... ولم يحضر الرجل ... وقرب منتصف الليل، كان «أحمد» قد أصابه الملل ... وظن أنه تعرَّض لخدعة ... وجاءه «المتردوتيل» بفاتورة الحساب. فلاحظ أن ظهرَها مكتوبٌ عليه بخط اليد. فقلبها فوجدها رسالة من رجل «إس إس» يطلب منه أن يلقاه ظهرَ الغد في «البرستول». فسأله المتر إن كان يعرف مكانه، فأخبره أنه في «لوزان».

كان الليل قد انتصف. وبدأ النوم يتسلَّل إلى حواسه، فغادر «أحمد» «المكسيم» متجهًا إلى الفندق، فاستوقفَته فتاةٌ شقراء تُحادثه بلهجة شامية قائلة: أستاذ «أحمد أبو زايد»، ألَا تعرفني؟

فنظر إليها متسائلًا!

فعادَت تقول له: لقد عملتُ معك لفترة كسكرتيرة!

فقال لها «أحمد»: على العموم ... لقد سعدت برؤيتك، هل أنت سورية؟

قالت الفتاة: نعم ...

أحمد: إذن أنت تعرفين «فهد»؟

الفتاة: الأستاذ «فهد» مدير أعمالك؟

فتظاهر بالموافقة على كلامها، وقال لها: نعم ... نعم ...

إلا أنه شعر أن في لهجتها خللًا، فبادرها بعدة أسئلة متلاحقة، ففوجئ بها تضحك لما يحدث، ثم همسَت له قائلة: أنا «زبيدة» يا «أحمد».

ضحك «أحمد» كثيرًا لهذه المفاجأة التي توقَّعها رغم أن «زبيدة» كانت ترتدي عدسات زرقاء، وباروكة «صفراء»، وكان تنكُّرُها غايةً في الإتقان، فأنهى معها الحديث، وفارقها والجدية تبدو على ملامحه، فاستوقف تاكسيًا، وطلب من السائق أن يتجول به حول بحيرة «ألمان» ثم يعود به إلى الفندق. فانطلق السائق يعدو بلا توقُّفٍ. حتى شعر أن الطريق قد طال وأنه خرج من «جنيف»، فسأله بالألمانية: إلى أين أنت ذاهب؟

السائق: سأريك أحلى ما في «جنيف» ... «القرية القديمة» ... و«المطعم القديم».

أحمد: وهل طلبَت منك ذلك؟

السائق: لا ... ولكن أعرف أنك سائح، وأنك تريد مشاهدة معالم المنطقة.
أحمد: أنت لستَ سائقَ تاكسي!
السائق: هذا صحيح. ثم سأله: ألستَ السيد «أحمد زايد»؟
أحمد: نعم، ولكن كيف عرفتني؟
السائق: في «المكسيم».
أحمد: وأنت من الـ «إس. إس»؟
السائق: هناك مَن ينتظرونك.

في الظلام وعلى طريقٍ تحفُّه الأشجار. غرقت السيارة في أحضان الخضرة الكثيفة. وبعد مسيرة عشر دقائق، توقَّفَت بجوار سيارة مرسيدس بيضاء فارهة. وبمجرد أن استقرَّت، شاهد «أحمد» زجاج السيارة «المرسيدس» الأمامي ينفتح، ويظهر رجلٌ أسودُ اللون، حادُّ البصر، حليقُ شعرِ الرأس والحاجبَين. ينظر أمامه في صمت، ثم يُدير رأسَه بحركة ميكانيكية. فيصوِّب عينَيه الضيقتَين لعينِ «أحمد»، وينظر له نظرةً متفحصة، وكأنه يحاول قراءة ما برأسه. ثم تقدَّم بالسيارة مترًا للأمام، فأصبحَت النافذة الخلفية في مواجهته وببطءٍ نزل زجاجها، ليرى سيدةً جميلة، في حوالي الأربعين من عمرها، تنظر له وعلى وجهها ابتسامةٌ ساحرة، ثم قالت بالإنجليزية: مستر «أحمد زايد» أليس كذلك؟

ردَّ «أحمد»: نعم ... وأنت من منظمة «سايبرسبيس»؟

فنظرت إليه مليًّا، وأومأَت برأسها للسائق، فارتفع الزجاج مرة أخرى، وواصلَت السيارة المسير. وتَبِعتها السيارة التاكسي، وبها «أحمد»، وعيناه مفتوحتان عن آخرهما، وبداخله سؤالٌ حائر عن هذه السيدة، هل هي تاجرة سلاح؟ أم عضوة في منظمة «إس إس»؟ أو مضيفة تستقبله ... لتُوصلَه إلى الرأس الكبير؟!

بعد مسيرة عشر دقائق، خرجت السيارتان من بين الأشجار، لتعود من جديد إلى الطريق الرئيسي، وفي اتجاه سهم على لوحة، مكتوب أمامه «زيورخ»، انطلقَت السيارتان تلتهمان الأرض. إلى أن اعترضَتهما سيارةُ «فولكس» خرجَت من عرض الطريق. فتوقَّفَا. ونزل من السيارة رجلٌ وقور أنيق متجهًا إليهم طالبًا منهم النزول فامتثلَا لأوامره، ثم أشار للسائقين فعادَا إلى سياراتهما. واقتاد بعد ذلك «أحمد» والسيدة الحسناء إلى حيث كانت تقف سيارة «كاديلاك» فارهة، طولُها يزيد على العشرين مترًا. وبداخلها قاعة اجتماعات، وثلاجة، وكل ما يحتاجه المرء للحياة المرفهة، فتأكد أنه سيقابل رجلًا هامًّا من رجال المافيا، وقد صدقَ حدْسُه؛ فقد شاهد خلفَ ظهرِ مقعدٍ ضخمٍ سيجارًا يخرج منه دخانٌ

كثيف، وحين دار المقعد ليصير في مواجهته رأى رجلًا مهيبَ الطلعة، ذا ملامح جذابة. وقد ارتسمَت على وجهه ابتسامةٌ وقورة، يقول له: مرحبًا بك مستر «زايد» في «جنيف»، وأهلًا بك عميلًا لنا.

ثم استطرد قائلا: إن تجارة السلاح تجارة معقدة، ولكننا نَعِدُك بأن نقدِّمَ لك كلَّ العون؛ لتصيرَ من كبار عملائنا وتكون راضيًا عنَّا. هنا ابتسمَت السيدة الحسناء وهي تقول: ونكون نحن أيضًا راضين عنه.

شعر «أحمد» بأن الأمر أصبح خطيرًا؛ فهو بين براثن أخطر رجال العالم. ولم يَصِل بعدُ إلى جماعة «إس إس»، فهل يتورط معهم أكثر من ذلك، أم يحاول أن يُنهيَ المسألة من بدايتها؟ ووجد نفسَه مدفوعًا لأن يسألهم عن «سايبرسبيس»، فلم يحصل على إجابة شافية؛ فقد أخبروه أنهم يقدِّمون خدماتهم عبرَ شاشات الكمبيوتر فقط. ويحصلون مقابل ذلك على أرقام في البنوك تُضاف إلى أرقامهم … لا أحدَ يعرف عن أصحابها شيئًا.

شعر «أحمد» أنهم يكذبون. فكيف لا يعرف رجلُ عصابات مثله، يعمل في تجارة خطيرة كتجارة السلاح شيئًا عمن يتعاونون معه. وأصرَّ «أحمد» على أن يكون التعامل بوضوح أكثر وإلا فلا داعي لهذا التعاون؛ فهو يشمُّ رائحةَ عدم ثقة، فقاطعه الرجل قائلًا له: لا. أرجوك مستر «زايد» لقد تحريتُ عنك كثيرًا قبل أن أوافق على مقابلتك.

فابتسم «أحمد» وسأله قائلًا: وماذا عرفت؟

الرجل: عرفت أنك الرجل المناسب لهذا العمل.

فشعر «أحمد» بالزهو … لأنهم استطاعوا خداعَ عصابة مثل المافيا … بما لها من تاريخ في الدهاء، وقال له: إذن لماذا ترفضون أن أقابلَهم؟

فتدخلَت الحسناء قائلةً: أهناك ما يمنع ذلك مستر «ألبرتو»؟

فنظر لها «ألبرتو» مليًّا … ثم قال لها: وماذا ترَين يا «كاتي»؟

كاتي: سأدبِّر لهم لقاء.

ألبرتو: إذن سنؤجل حديثنا إلى أن تلقاهم.

شعر «أحمد» براحة كبيرة عندما تأجل الحديث عن الصفقة المزعومة، رغم أن الجوَّ حوله لم يكن مريحًا؛ فقد لزم «ألبرتو» الصمتَ خلال طريق العودة. وكأنه يترقَّب ما سيستجد من أحداث. بعد لقاء «أحمد» و«سايبرسبيس».

وخلال اليومين السابقين للقائه بـ «إس إس»، شعر أنه مراقبٌ في كل حركاته وسكناته. وقد آثر ألَّا يتصلَ برقم «صفر»، أو يتحدث مع «زبيدة» و«بو عمير» حتى لا

يدفعَهم للبحث وراءهم. فيكتشفوا ما بينهم من علاقة فيُوقعهم في المشاكل. وبعد منتصف الليل سمع «أحمد» وقد كان نائمًا في غرفته بالفندق، طَرْقًا على الباب ... وتعجَّب؛ فليس هذا ميعادَ تغيير أغطية ... وهو لم يطلب عشاء ... تُرى مَن يكون الطارق إذن؟

السقوط في بحيرة الجليد!

فتح «أحمد» الباب بحذر وهو يختفي خلفه، فوجد «كاتي» تبتسم في قلق، فبادرها قائلًا في دهشة: سيدة «كاتي» ... مساء الخير!

كاتي: سيد «أحمد» ... كان يجب أن ألقاك.

أحمد: ألَا يصلح البوفيه للقاء؟

كاتي: لو لم يكن في ذلك خطر عليك، لاتصلتُ بك ... والتقينا في مكان ما. فأفسح «أحمد» لها الطريق لتدخل، وتستقر على أول مقعد قابلها. ثم أخرج رأسَه من الباب يبحث في الممر عمَّا إذا كان هناك مَن يراقبها ثم أغلق الباب في حذر، وعاد ليسألها قائلًا: ماذا وراءَكِ سيدة «كاتي»؟

كاتي: سيد «أحمد» ... إنني همزة الوصل بين «سايبرسبيس»، ومافيا تجارة السلاح من ناحية، ومن ناحية أخرى ... أقوم بمراقبة الاتفاق بينك وبينهم لصالحنا.

أحمد: لصالحكم أنتم «سايبرسبيس»؟

كاتي: نعم وقد شممتُ رائحةَ خطر عليك.

أحمد: ممن؟!

كاتي: سيد «ألبرتو»، فقد أثاره تمسكك بمقابلة جماعة «إس إس»، رغم أن هدفك الرئيسي السلاح!

أحمد: وما الغريب في ذلك؟

كاتي: إنه يشكُّ أنك تبحث وراءهم.

أحمد: حتى إن كان هذا حقيقيًّا، فماذا يضرُّه ما دمتُ لا أبحث وراءه هو؟

كاتي: لا ... إن في ذلك كثيرًا.

أحمد: مثل ماذا؟

كاتي: أولًا بين «سايبرسبيس» ومافيا السلاح علاقة عمل، وهم يحترمون ذلك جيدًا ... ويحمون مَن يتعامل معهم، ويعتبرون أن الخطر الملحق به ... هم مسئولون عنه ... ما داموا يستطيعون أن يردُّوه.

أحمد: وثانيًا؟

كاتي: إنك تخدعهم لتُوقعَ بـ «إس إس»، وفي هذا إهانة لهم.

أحمد: وما الخطر الملحق بي؟

كاتي: سيقتلونك.

أحمد: دون البحث خلفي ... ومعرفة لمن أنتمي؟

كاتي: لا يهمهم هذا ... لأنهم يتعاملون مع مَن يقابلهم أولًا بأول.

أحمد: وماذا ترَين أنتِ؟

نظرَت «كاتي» له مليًّا ... وهي مستغرقة في التفكير، فقطعه عليها «أحمد» قائلًا: أنت لا زلتِ تتشكَّكين في نيَّتي، ولكن هناك ما يُثير حيرتي، وهو أنكم تستطيعون أن تقابلوني بمن لا أعرفه، على أنه فريق «سايبرسبيس».

كاتي: ليس المهم أن نخدعك ... المهم هو ... هل أنت جادٌّ في إتمام صفقة السلاح أم لا؟

أحمد: وإذا كنت جادًّا، ولكن في عقد صفقة خاصة معك أنت، على أن تصلك عمولتُك كاملة عن هذه العملية ... دون أن أُتمَّها.

كاتي: نظير ماذا؟

عرف «أحمد» أن «كاتي» يهمها في المقام الأول مصلحتها الشخصية، وأنها لم تأتِ لتحذرَه خوفًا عليه كما تقول. فقرر أن يستفيد منها، وأن يتحدث معها بشكل مباشر؛ فقد يكون ذلك كمينًا نصبَه له «ألبرتو». وفي حذر قال لها: نظير أن ألتقيَ بـ «سايبرسبيس».

كاتي: «سايبرسبيس» أخطبوط ضخم ... له أذرعٌ في كل مكان، فكيف سأجمعه لك؟

أحمد: أريد رأسه.

كاتي: لتقطعها؟ ... إن كلَّ ذراع له ستتحول إلى رأسٍ يدبِّر ويخطط.

أحمد: ومَن قال لك إنني سأقطعها؟!

كاتي: إذن ماذا تريد؟!

أحمد: أن أُصبح عميلَه في الشرق الأوسط.

شعر «أحمد» أن حيلته قد صدقَتها «كاتي»؛ لأنها سألته إن كان ذلك سيتمم صفقة السلاح أم سيؤجلها أم سيلغيها، فطلب تأجيلَها حتى يقابل الرأس الكبير «سايبرسبيس».

وفي هذه اللحظة سمع صوت طرقات عنيفة على باب الحجرة، فنظر في تساؤل لـ «كاتي» التي بدَا عليها القلق الشديد. فرفع سماعة التليفون ليطلبَ أمنَ الفندق، فهي أنسب وسيلة، ليُوقع مَن بالباب في الحرج. ولكنهم لم يُمهلوه حتى يتمَّ اتصالُه؛ فقد دفعوا الباب بقوة، ودخل رجلٌ مسلَّحٌ ومعه سيدتان ملامحهما حادة، ونظرتهما قاسية، فنظروا جميعًا لـ «كاتي» نظرةَ توعُّد، ثم اصطحبوها في صمتٍ إلى خارج الغرفة دون أن يتعرَّضوا لـ «أحمد» أو يتعرَّض لهم. وقد كان ما يُحيره فيما يجري، أن الفتاة لم تُبدِ أية مقاومة، وأن القلق الذي رآه في عينَيها … لم يكن صادقًا!

مما دفعه لأن يتساءل: هل كل ما كان يحدث … تمثيلية من إخراج «ألبرتو»؟ وهل كانت «كاتي» تتفاوض معه في حدود دورها؟ أم أنها تخطَّت ذلك إلى مصلحتها الشخصية كما فهم هو؟

ومن خلف زجاج النافذة، رآها تخرج من باب الفندق ومن خلفها السيدتان تسيران بشكل طبيعي. يسبقهم الرجلُ المسلح إلى سيارة شيروكي تقف على جانب الطريق. وبعد أن ركبوها جميعًا. وتحركت السيارة أمتارًا قليلة، توقَّفَت، ونزل الرجل يُلقي نظرة على العجلات الخلفية ثم ظهر على وجهه عدمُ الارتياح، وهو يُخرج آلة الرفع من مؤخرة السيارة ويُخرج معها العجلة الاحتياطية، وتنشقُّ الأرض في هذه اللحظة عن شابٍّ يعرض عليهم المساعدة … تأكَّد «أحمد» حين رآه أنه هو الذي أفرغ هواء العجلة.

فقد كان الشابُّ هو «بو عمير» الذي أشار له إشارة خفية بعد أن أنهى مهمته، وهمَّت السيارة بالانصراف، ومَن بها يوسعونه شكرًا.

فأبدل «أحمد» ملابسَه بسرعة … وغادر غرفته في الفندق ليلحق به قبل أن يركب سيارة كانت على جانب الطريق. وفي السيارة سأله «أحمد» قائلًا: من أين أتيتَ بهذه السيارة؟

بو عمير: إنها خاصة بالمنظمة.

أحمد: هل اتصلت بهم هنا؟

بو عمير: لا … بل هم الذين اتصلوا … ويحذرونك من مافيا السلاح.

أحمد: وكيف عرفت بوجودهم عندي؟ ومَن الذي أفرغ لهم هواء العجلة؟ ولماذا ظهرَت الآن بالذات؟ ولماذا ساعدتَهم؟ ولماذا؟ …

بو عمير: مهلًا … مهلًا … رفقًا بي يا رجل، إنك مراقَب من رجال العصابة وهم وأنت مراقبون منَّا، أي إننا نسيطر على الموقف حتى الآن، أما لماذا ساعدتهم؟ فلكي أُثبت في سيارتهم جهازَ التتبُّع الذي تسمع إشارته الآن.

فنظر «أحمد» إلى تابلوه السيارة، فرأى ضوءًا أخضر يظهر ويختفي، وصفارة حادة متقطعة، تضعف تارة وتقوى الأخرى.

فسأله قائلًا: هل تعتقد أنهم متجهون الآن إلى أحد مواقع «إس إس»؟

بو عمير: هذا إذا خرجوا من «سويسرا».

أحمد: إننا نسير في الطريق إلى قرية «أنماس» على الحدود الفرنسية.

بو عمير: على الحدود تكثر مواقع العصابات، لسهولة الهروب.

أحمد: تقصد أننا ذاهبون إلى «المافيا» الآن؟

بو عمير: نعم.

قبل دخول قرية «أنماس»، توقَّفت السيارة الشيروكي على جانب الطريق بين الأشجار، ونزل منها كلُّ مَن بها ما عدا «كاتي» التي انطلقَت بأقصى ما في السيارة من سرعة، وكأنها تحاول الهرب ممن يتتبَّعها، فاندهش «أحمد» لذلك، فكيف عرفت «كاتي» أن هناك مَن يراقبها؟ ولماذا هربت هي، ولم يهرب مَن كانوا معها؟! ولم يكن هناك غير احتمال أن تكون على موعد هام مع قيادتها.

فطلب من «بو عمير» النزولَ خلف السيدتَين والرجل، وتابع هو السير خلف «كاتي» لعله يَصِل إلى طرف الخيط الذي يُوصله إلى «سايبرسبيس» أو «إس إس».

طال السير بـ «أحمد» خلف «كاتي» حتى دخلَت قرية «أنماس». فانحرفت إلى بوابة خشبية مفتوحة لسور سلكي، يُحيط بحديقة شديدة الاتساع، يظهر في مؤخرتها مبنًى أبيض اللون شديد الفخامة فعبرت البوابة، وأكملَت سيرها وعند منتصف الحديقة مالَت السيارة ميلًا شديدًا ... ثم اختفت ... فاندهش «أحمد» لما رأى. وبأقصى ما في السيارة من سرعة، انطلق صوب نفس الموقع، الذي اختفت عنده سيارة «كاتي»، ولكن بمجرد عبوره البوابة الخشبية، انطلقَت عليه وحوله إشعاعاتٌ ليزر من مكان مرتفع، وهو يبعد عنها منحرفًا بالسيارة يمينًا وشمالًا. حتى بلغ نفسَ الموقع الذي اختفَت عنده «كاتي». ولكن سيارته لم تَمِل ولم تختفِ. فأكمل السير، حتى بلغ المبنى الأبيض، فترك السيارة بجواره ... وفي خفة وحذر تسلَّق المساحة المكشوفة المرتفعة، التي تُحيط بالمبنى. ليرى أمامه الدور الأول كله عبارة عن أبواب وحوائط زجاجية ومن خلفها تظهر أرضية بيضاء لامعة تتوسطها نافورة كبيرة. ... تتناثر حولها مجموعة من النافورات الصغيرة البديعة المنظر. وتملأ المكان شجيرات صغيرة، تُماثل تمامًا أشجار الغابات العملاقة. إنها نتاج أبحاث الهندسة الوراثية التي استطاعَت أن تخلق نخلة ناضجة في حجم أصبع الموز، وتجعل الحصان صغيرًا في حجم الكلب.

ووسط هذا المنظر الخلَّاب، يقف سلَّمٌ بلوريٌّ ... شفافٌ، تعكس درجاتُه ألوانَ أشعة الشمس التي تسقط عليه من النوافذ العلوية، فيُخيَّل لمن يراه أنه ينزل من السماء، جرى «أحمد» حول المبنى، يبحث عن ثقبٍ مفتاح يُعالجه ليدخل ... فلم يجد، ولم يجد بابًا مواربًا. وكان كلما لامس زجاج باب أو حائط، ظهرَت عليه صورتُه ملونة. فحاول ركْلَ أحدِ الأبواب بقدمه ... فآلَمَته ألمًا شديدًا ولم يتحرك الباب، وعندما أعيَته الحِيَل، قرر الرجوع من حيث أتى، لكن فجأة رأى كلبًا صغيرًا لا يظهر منه غير عينَيه وأنفه، وكأنه كرةٌ من الشعر الأبيض؛ فقد خرج من مكان حول المبنى. فتتبَّعه أن وجد نفسه داخل المبنى ولم يفكِّر كيف حدث ذلك. فقد بهرَه كلُّ ما رآه ولم يَعُد أمامه غير صعود السلم، لاكتشاف ما بالمبنى.

وخلف كرة الشعر البيضاء. جرى صاعدًا السلَّم البلوري. ولكنه لم يجد السلَّمَ الذي رآه ... بل رأى نموذجًا آخر يشبهه، تنتهي درجاتُه السفلى داخل بحيرة مجمدة، وشعر ببرودة شديدة في قدمَيه، فتعجب لذلك ومن أعلى الغرفة ... سقط شعاعُ ليزر أحمر ... فرسم دائرةً على البحيرة حول السلَّم.

وبعده شعاعٌ آخر أزرق يرسم دائرة أوسع ... وتتابعَت الأشعة بألوان جذابة ... تلوَّنَت بها البحيرة ... وانعكست ألوانها على زجاج الأبواب والحوائط، في مهرجان ألوان رائع ... وانبعث من البحيرة دخانٌ كثيف، وشعر «أحمد» وسط انبهاره بدفءٍ في قدمَيه. ثم فجأةً تهاوَى السلَّمُ كلُّه، في شلَّال ماء. وسقط «أحمد» في قلب البحيرة وعقله متوقف عن التفكير، من شدة انبهاره ودهشته لما يحدث؛ فقد كان السلَّم من الثلج وكان القرار الوحيد الذي اتخذه وهو في هذه الحالة أن يغوص إلى قاع البحيرة ... ليعرف إلى ماذا يُفضي؟ وقد كان قرارًا جريئًا وشجاعًا. وفي قاع البحيرة، وجد كرةً برتقالية مضيئة ... كانت هي أول ما رآه في القاع.

فسبَح ومدَّ يدَه ليلتقطَها ... ولكنها راوغَته يمينًا وشمالًا وكأنها تُلاعبه. فسكت عنها ... فتحرَّكَت إليه وعندما هَمَّ بالإمساك بها ... راوغَته مرة أخرى. وفي هذه اللحظة شعر باختناق شديد، فصَعِد إلى سطح الماء في سرعة خارقة ... وشعر أنه لو كان قد تأخَّر ثانية واحدة ... لمات مختنقًا. وعلى سطح الماء ... وبعد أن تنفَّس الكثير من الأوكسجين، بدأ عقله يعمل مرة ثانية؛ فالمخ غذاؤه الأوكسجين، وبدأ يفكر في ماهية هذا الكائن الكروي البرتقالي ... المضيء؟ وهل هو كائن حي؟ ... أم آلة؟

وهل هو كائن طبيعي أم مخلَّق؟ وهل هو من ثمار الهندسة الوراثية أيضًا؟ وهل سلوكه معه ... سلوك طبيعي؟ أم أن هناك مَن يُوجِّهه؟ لقد كان بمظهره الأخَّاذ ... وسلوكه الذكي هذا سوف يؤدي به إلى الهلاك.

وتساءل بينه وبين نفسه هل هو مدرب؟ ... أم هناك مَن يقوم بتوجيهه؟

وبعد أن استراح وأخذ كفايته من الأوكجسين، توجَّه إلى قاع البحيرة ... قاصدًا ذلك المخلوق ... ولكنه ... وهو في الطريق إليه، واتَته فكرةٌ ذكية ... فلربما كان هذا المخلوق يقصد بسلوكه هذا أن يصرف الانتباه عن شيءٍ هامٍّ وحيوي بقاع البحيرة. وهو إن لم يورد مَن يراه موردَ التهلكة مختنقا تحت الماء ... فإنه يلفت انتباهَه وبذلك يصرف نظرَه عن شيء هام.

لذلك حاول ألَّا ينشغلَ به، وأن يبحث حوله عمَّا يحميه هذا المخلوق، فرأى حلقة ذهبية كبيرة نسبيًّا ... تكفي لأن يُدخل فيها كفَّ يده كاملًا.

عندما توجَّه إليها ليفحصها ... هاجمه ذلك المخلوق ... مندفعًا إلى وجهه، فأخطأ الطريق إلى الحلقة، ثم أعاد المحاولة مرة أخرى ... وفي كل مرة يهاجمه المخلوق ... فلا يستطيع الانقضاض على الحلقة ... أو عليه.

شاغلَه لحظاتٍ بمحاولة الإمساك به، وقرَّب في نفس الوقت مشطَ قدمِه ليُدخلَه في الحلقة ... إلا أن المخلوق البرتقالي، جرى إلى الحلقة ولمسها، فارتعد «أحمد» وكأنه يسير في حدة تيار كهربائي قوي. فأبعد قدمه في فزع ... وصَعِد إلى سطح الماء مرة أخرى، وحاول الخروج من البحيرة، إلا أن الأرض كانت زلقةً للغاية، فباءَت كلُّ محاولاته بالفشل ... فشعر أنه لا محالةَ مقضيٌّ عليه في هذا المكان.

كان الإجهاد قد تسلَّل إليه مع برودة مياه البحيرة، فزاد من شعوره بالإعياء، مما جعله يضرب الماء سابحًا جيئةً وذهابًا، ليبثَّ الدفء في أوصاله، ويُبعدَ الشعور باليأس والاستسلام عن نفسه، فرأى الكائن البرتقالي يُشاغله مرة أخرى على سطح الماء، فعرف أنه يريد أن يتركه ميتًا.

فامتلأ بالغيظ منه، وانقلب في سرعة جنونية، فأصبحَت رأسه في مواجهة القاع، وكالصاروخ ... غاص في الماء متوجهًا إلى الحلقة الذهبية، وقدماه تدوران في الماء، تضربان الكرة البرتقالي، التي كانت تحاول الإفلاتَ منه، والمرور إلى الحلقة الذهبية.

إلا أنه لم يُعطِها الفرصة، بل جعَل جسدَه كلَّه كتيبةَ دفاع، تمنع هذا الكائن الغريب من المرور إلى الحلقة ... سر أسرار هذه البحيرة والتي بدأ الماء فيها يبرد بصورة سريعة حتى إنه يشعر بأطرافه تكاد تتجمد.

وراودَته في هذه اللحظة أفكارٌ مزعجة من أن هذه البحيرة كانت متجمدةً قبل سقوط أشعة الليزر عليها، وستعود لتتجمَّد مرة أخرى بعد زوال تأثير الأشعة، وسيتحول هو معها إلى مستطيل من الثلج. ولكي يزيدَ من مقاومته النفسية أخذ يتساءل بينه وبين نفسه!

الهروب في أنبوبة!

هل الكائن ذكي إلى هذه الدرجة؟ أم أن هناك قوةً عاقلة تُحرِّكه؟ من المؤكد أنه هناك مَن يراقب «أحمد» من خلال كاميرا تليفزيونية، ويحرِّك هذا الكائن لينفِّذ ما يريد وهذا ما أشعر به.

ظل الكائن البرتقالي يُراوغه، ويندفع ليصطدمَ بوجهه بغتةً. في الوقت الذي بدأَت تقترب فيه درجةُ حرارة الماء من الصفر المئوي. فاستجمع كلَّ قواه، وانقضَّ على الحلقة الذهبية يشدُّها، فلم تستجِب له، وبدأ ماء البحيرة يتجمَّد وهو يحاول مع الحلقة، حتى سمع وهو يشدُّها صوتًا مكتومًا لاحتكاك جسمَين معدنيَّين، وبعده دارَت الحلقة في يده، وبدأ الدفءُ يسري في الماء مرة أخرى، فأدارها في الاتجاه المضاد، فرأى الكائن يتحرك لأسفل في دوامات. فتشبَّث بالحلقة الذهبية، حتى لا يجرفَه الماء فيصطدم بالقاع.

وأخذ يبحث بعينَيه عن الكائن البرتقالي، فلم يجده، فعرف أن دوره قد انتهى وخلَت البحيرةُ من الماء تمامًا، وأصبحَت كحمام السباحة العميق الفارغ. ولم يكن بها ما يُعينه على الصعود إلى قمتها، والخروج منها وتساءل: هل سيُمضي اليومَ كلَّه في قاع البحيرة، وملابسه مبتلة؟ وقد نال منه التعبُ قسطًا كبيرًا ... أم ستحدث مفاجأة ويأتي مَن يُنقذه من هذا المأزق؟ ولكن هل سينتظر مَن يأتي ليُنقذَه؟! إلا أنها ليست مبادئ الشياطين ولا روحهم.

دارَت كلُّ هذه الأفكار في رأسه وهو جالس بقاع البحيرة فانتفض واقفًا، ينفض رأسَه مما به، وشعر أن الدماء تجري ساخنةً في عروقه، وأنه أتَته فجأة قوةُ ألفَي رجل، فجرى يطوف بأنحاء البحيرة، يبحث عن منفذ يمرُّ منه إلى خارجها. وتذكَّر الكائن البرتقالي، وفكرة وجود كاميرا تليفزيونية تُراقبه.

فدار يفحص حوائط البحيرة بعناية، ولفتَ نظرَه وجودُ نقوش متداخلة تسمح بإخفاء عين الكاميرا بينها، وكانت وحدات هذه النقوش كثيرةَ العدد، مما جعل فحصها أمرًا مرهقًا. وأصاب «أحمد» بتداخل في الرؤية، حتى إنه رأى إحدى هذه الوحدات تتسع وتضيق في بطء، فراقبها جيدًا، لعله لا يكون إرهاقًا، وتكون هذه هي عدسات الكاميرا، فبعد أن خلع جوربَه المبتلَّ ولصقه على هذه الوحدة، فجأة علَا صفيرٌ حادٌّ يصمُّ الآذان، وتردَّد بين جدران البحيرة، مما جعل «أحمد» يسدُّ أذنَيه بيده، من جراء ما تسببه من صداع وألم في رأسه.

وظهرَت في هذه اللحظة بقعةٌ مستديرة مظلمة، تتوسَّط قاع البحيرة، فجرى إليها ... وقد كانت الأرضُ زلقة، فانزلقَت قدماه، وسقط داخلها وشعر أنه ينزلق بسرعة كبيرة داخل أنبوبٍ ضخمٍ ملتوٍ، وقد لفَّه الظلام، ثم سقط فجأة جالسًا على مقعد ... في قاعة مضيئة ... واسعة. لا يوجد بها غير شاشات الكمبيوتر، وروبوت يقف أمامه، له عينان حزينتان جعلَته رغم الإجهاد والجوع، يبتسم له في تعاطف، ولفت نظرَه في هذا الروبوت، أنه يجمع في تركيبه بين التكوين الصناعي والطبيعي؛ فهيكله مغطًّى بما يُشبه اللحمَ الحي، وعيناه غيرُ مصمتتَين، ويغطي غلافه الخارجي شعيرات دقيقة، وكأنها قرون استشعار، مما جعله يزداد يقينًا أنه نتاج تعاون بين علماء الإلكترونيات والميكانيكا والتكنولوجيا.

وكأنما تقرأ هذه الأجهزة أفكارَه؛ فقد نطق أحدها قائلًا: إنه نتاج علم حديث، يجمع بين علم الفيزياء، والميكانيكا، والبيولوجي، والنبات إنه نتاج علم حديث، إنه المعمار الكوني الجديد الذي يشارك فيه الإنسان والهدف منه هو خلق معاونين للعلماء، ذوي صفات خاصة جدًّا يحتاجهم لمهام لا يقدر عليها الإنسان.

فسأله «أحمد» بالإنجليزية: مثل ماذا؟

الكمبيوتر: كإرساله إلى الفضاء الخارجي لاستكشاف كواكب جديدة أو للعمل في المفاعلات الذرية، أو لإرساله لإقامة حياة، وصناعات في القطب الشمالي أو الجنوبي، أو للبقاء لفترة طويلة تحت الماء لإجراء البحوث في قاع البحار والمحيطات.

أحمد: وهل هو مهيأ لكل هذا؟

الكمبيوتر: إنه عدة أنواع. أقصد أكثر من تصميم، وكل تصميم له تركيب خاص، ومصدر إمداد بالطاقة يصلح للمهمة التي صُنع لأجلها.

أحمد: ومن أين يحصل على الطاقة؟

الكمبيوتر: منهم المدعم بتكوين نبات فيحصل على طاقته من الضوء.

أحمد: كعملية التمثيل الضوئي في النبات؟ والتي يحول فيها النبات ثاني أكسيد الكربون والهيدروجين إلى مواد كربوهيدراتية وأوكسجين!

الكمبيوتر: إنها نفس العملية.

أحمد: ومَن الذي يُنفق على هذه الأبحاث؟

في هذه اللحظة ... تتابعَت المعلومات على شاشات الكمبيوتر في سرعة ... وصدرَت من الكمبيوتر كلماتٌ متداخلة ليس لها معنًى، ثم ظهرَت على شاشة عملاقة تتصدر القاعة، شبكة عصبية معقَّدة، وشعاع يتحرك على مساراتها ... فتخرج منه حروفٌ عندما اكتملَت كوَّنت كلمة «سايبرسبيس». علَت ملامح الدهشة على وجه «أحمد»، وعرف الدافع الذي أدَّى بمجموعة من العباقرة إلى استخدام أحدث تقنيات العصر في السرقة والنصب. فقال في نفسه: إن الهدف مهما كان ساميًا ... لا يُبرِّر الوسيلة غير الشريفة ... فلا يصحُّ أن نسرقَ لكي نعالجَ مريضًا ... أو لنقويَ دعائم منزل معرَّض للانهيار؛ فانهيار منزل سيضرُّ إنسانًا أو اثنين أو خمسة، أما انهيار الأخلاق فستضر الإنسانية كلها.

كان الروبوت الأخضر ... لا يزال واقفًا في مواجهة «أحمد» ... وعيناه تفحصانه بدقة ... وكأنه كائنٌ عاقل ... فأوحى له سلوكه هذا بفكرة قد تحلُّ له مشاكله مع «سايبرسبيس»، فتفحص شكلَ وتكوين الروبوت الأخضر بدقة ... وقد أُعجب كثيرًا بما في تكوينه من اندماج معقد بديع لعدة علوم. فغمغم قائلًا: يا لَك من «روبوت»!

فردَّ عليه الكمبيوتر قائلًا: إنه ليس «روبوت» ... إنه كائن له خلايا عصبية وبمكوناته مادة حية، رغم أنه غيرُ حي، لأنه مخلق صناعي.

أحمد: أليست به روح؟!

الكمبيوتر: نعم ... أما الروبوت ... فإنه آلة معدنية ... تقوم بفعلٍ صُمِّمت لأجله فقط، ولا تستطيع التصرف من تلقاء نفسها، مع ما يقابلها، وما يستجد عليها ولا تنمو ... ولا تتكاثر ...

فسأله «أحمد» مندهشًا: هل ينمو ويتكاثر؟

الكمبيوتر: ما دامت به مادة حية ... فهو لا يستطيع ذلك.

شعر «أحمد» أن الوقت قد طال ... وهو بملابسه المبتلَّة ما قد يعرضه للمرض ... وشعر أيضًا بالجوع، فاضطرَّ إلى سؤاله عن مصيره. وهل يوجد مَن يتحدث معه ليضع نهاية لموقفه هذا؟

فأخبره الكمبيوتر أنه مدعوٌّ لاجتماع مع «سايبرسبيس»، فكادت الفرحة تتسلَّل إلى قلبه. لأنه وصل إلى هدفه إلا أنه عاد وسأل قليلًا: هل سأجتمع معهم اجتماعًا حيًّا ... أم عبر شاشات الكمبيوتر؟

الكمبيوتر: لا تتوقع غير ذلك يا صديقي ... فلن تلتقيَ معهم إلا عبر شبكة الإنترنت، ولا تنسَ أن اسمَهم هو أحد أسماء هذه الشبكة.

شعر «أحمد» بخيبة أمل شديدة، إلا أنه رأى أنها خطوة على الطريق، وانتظارًا لهذا الاجتماع، جلس أمام أحد الأجهزة، وبمهارة الخبير ... تعامل مع لوحة أزراره، ودخل على شبكة معلومات جماعة «إس إس»، إلا أنه شعر أنها مراقبة فخرج منها، وجرب الاتصال بـ «بيتر» الذي كان في قمة سعادته عندما تلقَّى اتصاله على الشاشة وأخبره «أحمد» أنه في مأزق، وأنه يطلب منه أن يطلبه على الرقم القديم، ويبث على جهازه أرقاما وحروفا شفرية معينة.

وطبعًا لم يفهم «بيتر» أنها رسالة موجَّهة إلى رقم «صفر» ... ولن يفهمَها غيرُه.

وعندما همَّ بالاسترسال في الاتصال ... شعر بمن يقف خلفه، ويمدُّ يده ليُمسك بمعصمه بقوة، ويقوده إلى بوابة مستديرة ... وعندما دخل منها وجد نفسه مرة أخرى داخل أنبوب ضخم لكنه مضاء ... ولم يكن أمامه غير السير حتى نهايته ... فوجده مسدودًا، فعاد مرة أخرى محاولًا الخروج فوجده مغلقًا من الناحية الأخرى.

ثم شعر به يتحرك، وكأنه نائم على سطح سيارة نقل ... وقد كان هذا ما يحدث؛ فقد حملَته سيارة كبيرة، وهو داخل الأنبوب وخرجَت به من قرية «أنماس».

كان «بو عمير» في هذه الأثناء مختبئًا داخل أحد الشاليهات المهجورة على الطريق ... ومعه رجلُ المافيا الذي كان مختطف «كاتي». وهو الذي أخبره عن مرور السيارة النقل التي تحمل «أحمد» في الطريق إلى جنيف ... وتحت تهديد السلاح، أشار الرجل لـ «بو عمير» على السيارة عند اقترابها منه، فضربه، ففقد وعْيَه وجرى هو خلف السيارة، التي كانت تسير ببطء؛ حيث خلع خنجرًا حادًّا من على فخذه، وغمده في عجلة السيارة، فدار معها حتى أصبحت فوقه ... ودوى صوتُ انفجارها، فانحرف بها سائقها، وتوقَّف على جانب الطريق ليستطلعَ ما يحدث ... فخرج له من بين الأشجار «بو عمير» ... وعرض عليه مساعدته، وكان الرجل وحده، فرحَّب كثيرًا، وبعد أن انتهى من تركيب العجلة، جمَع معدَّاتِه، وذهب إلى كابينة القيادة، ففوجئ بالسيارة تتركه وترحل، فأخرج مسدسه، وانهالَت طلقاتُه صوب السيارة، وعلَت صرخاتُ الرجل يأمر «بو عمير» بالرجوع بها حتى غابَت عن عينَيه.

وبعد فترة من السير، توقَّف داخل محطة بنزين لإعادة تموين السيارة ... وتركها لعامل المحطة، وصَعِد إلى سطحها، يحاول فتْحَ الأنبوب، فلم يجد له منفذًا وليس هناك وقتٌ للتفكير، ورجال العصابة سيتوافدون للبحث عن السيارة ... وما عليها. فملأ زجاجةً

فارغة بنزينًا، وسكبه على قاعدة الأنبوب، ثم أشعل فيها النيران ... وعندما رأى عامل المحطة ما يحدث، صرخ فيه يأمره بالابتعاد بها عن خزانات الوقود، فاستقلَّها «بو عمير»، وأسرع بها يُخفيها بين أشجار كثيفة الخضرة، متشابكة الأفرع على جانب الطريق.

وكان الأنبوب من البلاستيك السميك فأتَت النار على قاعدته التي سالَت مشتعلة على سطح السيارة، ودخل النور إلى «أحمد» الذي جرى خارجًا منه، غير عابئ بالنار، وقد ساعدَته على ذلك ملابسُه المبتلَّة، ثم قفز من فوق السيارة فاصطدم بـ «بو عمير»، وسقطَا سويًّا وسط ضحكاتهما على الأرض.

عندما وصلَا إلى محطة البنزين طلب «أحمد» من العامل الذي لم يرَه من قبل الاتصال بالبوليس؛ لأنه رأى سيارة مشتعلة بين الأشجار.

ثم استقلَّا تاكسيًا، توقَّفا به في الطريق، وانتظرَا حتى اختفى عن عيونهما، ثم استقلَّا تاكسيًا آخر حتى باب الفندق الخلفي ... فغادره «أحمد» تاركًا «بو عمير» يحاسبه، وصَعِد هو إلى غرفته ليُبدل ملابسه، وينزل تحت الأغطية الثقيلة ليستمتعَ بدفءِ الفراش بعد برودة ماء البحيرة.

عندما التحق به «بو عمير» وجده، وقد نال منه الإعياء، فطلب من إدارة الفندق لهما عشاءً ومشروباتٍ ساخنةً، ثم فتح التليفزيون لُيريحَا أعصابهما، بعدما واجهاه طوال النهار، وتمدَّد على الفراش الآخر؛ فقد كانت الغرفة مزدوجة (أي ذات سريرين).

لم تمضِ دقائق حتى طرق البابَ عاملُ البوفيه، فأمره بالدخول، فوضع ما بيديه ثم قال لهما ... ألم تشاهدَا الأخبار؟

أحمد: لماذا؟

العامل: هناك حريقٌ كبير على الطريق إلى «أنماس» بسبب انفجار سيارة نقل.

فقال «بو عمير» في قلق: على الطريق إلى «أنماس»؟!

العامل: نعم ... وقد أدلَى البعضُ بأوصاف مَن كانوا بالسيارة ...

أحمد: والبوليس يبحث عنهما؟

العامل: نعم.

المصيدة!

شعر «أحمد» بحرج الموقف؛ فالبوليس سيمسح المنطقة، ولن يهدأ إلا بعد القبض عليهما ... وعامل البنزين قد يُدلي بأوصافهما ... ومافيا السلاح قد تُحرر أوصافهما للبوليس للتخلص منهما ... وأخيرًا العاملون في الفندق الذين رأوه عند عودته مبتلًّا، وفي حالة لا تدلُّ على أنه المليونير «أحمد زايد».

لذا كان عليهما التصرُّف بسرعة، فاقترح «بو عمير» الاختفاءَ لفترة، ولم يَعُد أمامهما للتحرك غير «زبيدة»؛ فهي التي تستطيع التحرك بحرية، فلا أحدَ يعلم عنها شيئًا.

وما لا يعرفانه أنها كانت قريبة منهما جدًّا، حتى إنهما عندما همُّوا بالاتصال بها، كانت تطرق الباب.

لم يتمالك «بو عمير» نفسَه من الضحك، عندما فتح الباب، ووجدها أمامه فاستقبلها قائلًا لها: إنك حقًّا محترفة، حتى إنك تتلقين الاتصال قبل أن يتمَّ!

فقالت «زبيدة» باسمةً: لماذا؟ ... هل كنتما تتصلان بي؟

أحمد: لم نكن نتصل ... بل كنَّا ننوي الاتصال بك لتأتي؟

«زبيدة» ضاحكة: وهذا يكفي لأن أنفذَ الأوامر ... ماذا جرى الآن؟

حكى لها «أحمد» ما حدث بعد هروب «كاتي» منه، وكيف أن «سايبرسبيس» ليست شبكةَ سرقة فقط، ولكنها أيضا شبكة موت، ومنظمة عالمية ضخمة، تموِّل أبحاثًا علمية متقدمة.

وعرفت منه المأزق الذي تسبَّب فيه حريقُ السيارة، فاقترحَت الابتعاد عن الفندق، مع دفع مقدم حجز أسبوعين، حتى لا يشعرَ أحدٌ أنهما هربَا بعد وقوع الحادث.

بعد الاتصال بالمنظمة تم تأجيرُ شقة لهما في شارع «بان هوف أشراس» قرب محطة سكك حديد «زيورخ»، وفي مواجهة فندق «الأمباسادور»، فقد كان عليهم أن يتركوا

«جنيف» الآن، ولفترة حتى يمرَّ حادثُ السيارة، لكن عليهم في نفس الوقت متابعة البحث عن «سايبرسبيس»، وكان الجو في «زيورخ» باردًا، وكانت الثلوج تغطِّي الشوارع، وكان على «أحمد» أن يظهر بمظهر الرجل الثري «أحمد زايد»، وهذا يحتاج إلى ملابس باهظة الثمن، إلا أنه وجد كلَّ ما يحتاجه في دولاب غرفة نومه بالشقة الجديدة، وكذلك «بو عمير» و«زبيدة».

وفي أول اجتماع لهم في «الموفينبيك» الذي يقع في نفس الشارع الذي يُقيمون فيه سألهم «أحمد» عن رأيهم فيما إذا كانت «كاتي» ستعاود الاتصال به مرة أخرى ...

فقال «بو عمير»: لا أعتقد ... ولا حتى «ألبرتو».

زبيدة: إنهم لا يعرفون مكانك حتى يتصلوا بك!

أحمد: هل تعتقدين ذلك؟

على مائدة قريبة منهم، لاحظ «بو عمير» مَن يراقبهم في حذر، وعندما شعر بنظراته له ... انصرف تاركًا النقود فوق الفاتورة على مائدته ... ولم يتركه «بو عمير» بل سار خلفه عن بعد، محاولًا ألَّا يغيبَ عن ناظرَيه، وانحرف خلفه في أكثر من شارع، إلى أن غاب فجأةً عن عينَيه، فاستدار يبحث عنه، ففاجأه الرجلُ بضربةٍ قوية ... اندفع لها الدمُ في رأسه ... فقفز على يدَيه ... وعاجله بقدمَيه فطوَّحه بعيدًا ... إلا أنه نهض مسرعًا وجرى مختفيًا في الظلام.

فعرف أنهم مراقبون منذ خروجهم من «جنيف» وأن «ألبرتو» لن يتركهم ... وحين عاد إلى «الموفينبيك» لم يجد «أحمد» و«زبيدة» فعاد مسرعًا إلى الشقة، ولكنه لم يجدهما أيضًا، إلا أنه شعر بمن يختفي خلف ستارة الحمام ... فأغلق باب الحمام ثم أوقع بعضَ الكراسي الخشبية خلفه، وجرى وهو يضرب الأرض بقدمَيه، ليسمعَه مَن يريد مطاردته، فخرج الرجل من الحمام يجري شاهرًا سلاحه ... ليتعثر في المقاعد الملقاة، ويسقط على بندقيته، فتخرج منها رصاصة تُرديه قتيلًا.

ترك «بو عمير» الشقة، وسارع بمغادرة «بان هوف أشراس»، ولحسنِ حظِّه التقى بـ «أحمد» و«زبيدة» في الطريق فأبلغهما بما حدث ... وبأن عودتهما إلى الشقة أصبحَت أمرًا مستحيلًا ... والبحث عنهما الآن على أشدِّه، وصورهم في كل مكان ... وإن لم يقعوا في أيدي البوليس، فسيقعون في يد مافيا السلاح ... فقد اقترنت صورُهم بأحداث سرقة، وحريق سيارة، وأخيرًا قتل.

إلا أن «أحمد» توقَّف فجأة، مادًّا يدَيه لتعترض سيرَهما ... ثم قال لهما في همس: الآن فقط ... والآن فقط، سوف نرى «سايبرسبيس».

زبيدة: لماذا؟

أحمد: لقد أصبحنا مطاردين من البوليس؟ أي إننا لا نبحث وراءهم، وأصبحنا أيضًا مطاردين من مافيا السلاح ... وليس لنا ملجأ إلا هم.

كانت حسابات «أحمد» سليمة ... فقد توقَّفت سيارة «فان» سوداء في الظلام وفتح صندوقها الخلفي ... ونزل منه رجلان، طلبَا من الشياطين الثلاثة الركوبَ دون مقاومة ... وقد كان في نيتهم جميعًا ألَّا يقاوموا فهم يريدون تحريك الأحداث التي جمدَت عند هروبهم. ولم يتساءلوا إلى أين تسير السيارة؟ إلا أن سؤالًا واحدًا ... أرَّق «أحمد»؛ فهو يريد معرفة هل هم من «سايبرسبيس» أم لا؟! وإن لم يكونوا منهم ... فمَن هم؟

كان بصندوق السيارة زجاجٌ يُطلُّ على الكابينة الأمامية، رأى منه «أحمد» رجلَين مسلحَين بأسلحة ثقيلة، يجلسان بجوار السائق، فشكَّ أن يكونَا من «إس إس»، وعند محطة البنزين توقَّفت السيارة، وكان الوقت متأخرًا، وعربات متوقفة عن العمل، إلا أن الرجلين اقتادوهما إلى إحدى العربات داخل المحطة فأدخلاهما فيها وأغلقَا عليهم الباب، وتحرَّكت العربة تصعد لأعلى.

قالت «زبيدة»: إلى أين؟

أحمد: إلى جبل «القمم البيضاء» ...

زبيدة: تقصد إلى قمة جبال «القمم البيضاء»؟!

أحمد: نعم.

إلا أن العربة لم تبلغ القمة ... بل توقَّفت أمام سطحٍ مستوٍ خرساني، فنزل الشياطين عليه، وعلى طريقٍ يمتدُّ كالثعبان داخل قلب الجبل، تُغطِّيه الثلوج، كانت تقف سيارةٌ صغيرة، ليس بها سائقٌ ... فنظروا لبعضهم في تساؤل، ثم كان قرار الركوب جماعيًّا، تحرَّكَت بعده السيارة في نعومة شديدة ... حتى دخلَت إلى غرفة منحوتة داخل الثلج ... تتناثر فيها بعضُ المقاعد الوثيرة تتوسطها مائدةٌ صغيرة ... فتوقَّفت السيارة، وانبعث من مكان ما بالحجرة صوتٌ نسائي يقول: أهلًا بكم، تفضلوا بالجلوس.

لم ينتظر «أحمد» حتى تُتمَّ كلامَها بل جلس جاذبًا «بو عمير» ليجلس بجواره هامسًا في أذنه: إنها «كاتي»!

بو عمير: إذن نحن في «سايبرسبيس».

خرجَت «كاتي» من باب جانبي، يسبقها رجلٌ في الأربعين من عمره، نحيف، أنيق في بساطة، تملأ الابتسامةُ وجهَه.

فوجد «أحمد» نفسَه مدفوعًا لأن يقول له: أنت أحد أعضاء «سايبرسبيس»؟!

كاتي: إنه السيد «شارتز» ... أحد الأعضاء البارزين.

شارتز: لقد كنت شغوفًا لأن أراكم؛ لرغبتكم الشديدة في التعرف بنا.

أحمد: ولكنكم كدتم تقتلونني في بحيرة الثلج!

فضحكَت «كاتي» وهي تنظر له في إعجاب، إلا أن «بو عمير» كان صامتًا يفكر ويتساءل ... هل هؤلاء حقًّا أعضاء «سايبرسبيس»؟ أم أنهم مافيا السلاح ... وقد أوقعوا بهم؟

ورأى في هذه اللحظة فتاةً رشيقة، تسير في ثقة، تخرج من باب بآخر الحجرة وتُبلغ «شارتز» بأن هناك اتصالًا على الشبكة ... وأنه مطلوب. اختفى «شارتز» للحظات، ثم عاد قائلًا: لقد علم أنكم عندي.

أحمد: من «ألبرتو»؟

شارتز: نعم.

أحمد: وماذا يريد؟

شارتز: إما إتمام صفقة السلاح ...

بو عمير: وإما تسليمنا.

شارتز: وهناك اقتراحٌ أخير.

زبيدة: قتلنا.

شارتز: نعم ...

أحمد: إنه اقتراحٌ وجيه ... أن يحذروكم منَّا ...

شارتز: لقد حذروني من ألَّا أنفذ.

بو عمير: وبماذا أبلغتَه؟

شارتز: طلبتُ مهلة لأفكر، ولكن لديَّ سؤال هام ... هل هناك صفقة سلاح تحتاجونها فعلًا؟

أحمد: لا ... لقد كانت حجة لنقابلكم.

امتعض وجهُ «شارتز»، وظهر عليه الضيقُ الشديد، بعد الكلام الذي سمعه من «أحمد»، وتركهم وغادر الحجرة.

فالتفتَت «كاتي» لـ «أحمد» تسأله عن اتفاقه القديم، بأن يدفع لها عمولة الصفقة دون أن يُتمَّها؟ فأبلغها أن ذلك كان مقابلَ أن تقابله بـ «إس إس».

قالت له: إنك الآن معرَّض للقتل أنت ومَن معك على يدهم، أو يد مافيا السلاح.

أحمد: سيقتلوننا؟

كاتي: بل سيتركونكم تموتون بطريقتهم.

زبيدة: وماذا تستطيعين عمله لنا؟

كاتي: سأُخرجكم بطريقة ما من «سويسرا»!

لم يردَّ «أحمد» على عرض «كاتي»، ورأى أنه ليس من الحكمة رفضه، وليس من الأخلاق قبوله ... ولكن عندما يستحكم الخطر، سيضطر إلى اللجوء لها.

ولم يكن هذا رأي «بو عمير»؛ فهو يرى أنها امرأة بلا أخلاق، وقد لا تنفذ الاتفاق بعد أن تحصل على المال.

لاحظَت «كاتي» عدمَ الرضا على وجوههم، وهم يتشاورون همسًا، فاتخذَت قرارًا ما في نفسها، قرأته «زبيدة» على وجهها، فقالت لـ «أحمد»: الخطر الآن سيأتي من ناحية «كاتي».

بو عمير: كنت أعرف ذلك مقدمًا.

انتفض «أحمد» واقفًا ثم أشار لـ «كاتي»، وانتحى بها جانبًا، وحاول مفاوضتها للتعاون معهم ... وكانت «زبيدة» و«بو عمير» يراقبان ردودَ الفعل على وجهها. إلا أن ملامحَ وجهها جمدَت فلم يستطيعَا الخروج بنتيجة.

وعلَت في هذه اللحظة بعضُ الهمهمات المتداخلة ... وعمَّ المقرَّ الضجيجُ ... لم يعرف الشياطين سببَه ... ثم أتَت مَن تُحادث «كاتي» همسًا ... فانتفضَت الأخيرة واقفةً وهي تقول: إنه «ألبرتو»!

فسألها «أحمد» قائلًا: «ألبرتو» هنا؟

كاتي: إنه في الطريق.

بو عمير: لقد أصبحنا وليمةً يا صديقي!

قال «أحمد» باسمًا: لا أعتقد أن «شارتز» من آكلي لحوم البشر، ثم انتفض واقفًا وهو يقول: ولكننا نحن آكلو لحوم البشر، حين يضطرنا الموقف.

ثم أمسك بـ «كاتي»، فشلَّ حركتَها، وقال لـ «زبيدة» قيِّديها.

ثم أشار لـ «بو عمير»، فخرج خلفه، يجري في حذر حتى بوابة القاعة ... فوجد حارسَين يقفان على بابها ... فثنَى «أحمد» قدمَه وفردَها في وسط أحدهما كالصاروخ ... فطار في الهواء ساقطًا عند قاعدة الجبل، لُيقابلَ زميلَه الذي أطاح به «بو عمير».

وكانت الخطوة التالية، هي قطع الطريق على «ألبرتو» لكيلا يَصِل إلى القاعة، إلا أن «أحمد» آثر ألَّا يخرجَ اليوم بيده فارغة؛ فقرر القبض على «ألبرتو»، وترحيله سرًّا، للاستفادة منه لاختراق صفوف مافيا السلاح.

كان الطريق الوحيد للقاعة الموجود بها هو التلفريك ... وبناء على ذلك سيكون من السهل القبض عليه هو ورجاله، وهم معلَّقون في الهواء.

إلا أن هذه الخطة ينقصها السلاح ... فعاد جريًا إلى القاعة، وكانت «زبيدة» قد انتهَت من «كاتي»، و«شارتز» لم يظهر بعد، فطلب من «كاتي» أن تدلَّه على مخبأ أسلحتهم ... فلم تُجِب ... فوعدها أن إجابَته لا يرمي بها من قمة الجبل، فنظرت إليه في خوف. فأكَّد لها «أحمد» إن لم تدلَّه على طريق السلاح ... فسيكون ذلك مصيرها ... فأقسمت أنها لا تعرفه.

إلا أنه وجد معها مسدسًا فأخذه منها ... ومن الباب الواقع في آخر القاعة دخل يبحث عمَّا يريد، فرأى وهو غير مصدق أنه لا ينظر إلى فراغ ... ونظر تحته فرأى هُوَّة سحيقة ... تُفضي إلى قاعدة الجبل!

فتساءل مندهشًا: كيف إذن تخرج «كاتي» و«شارتز» ... ومَن معهما؟ ... وإلى أين كانوا يذهبون؟ وعلى جانب الجبل لاحظ قضيبًا ضخمًا، يقف بمحاذاة الجبل فتابعه إلى أن رأى مصعدًا كبيرًا ... يقف على بُعد منهم ... فعاد جريًا إلى «بو عمير»، وأخبره أن المصيدة أصبحَت مصيدتَين ... ثم حكى له عمَّا رآه ... إلا أنه سمع أزيزًا خفيفًا وصوتَ احتكاك ظبيَين معدنيَّين ... فعرف أن أحدهم في الطريق، ولكن من أين يأتي؟ وكيف سيواجهونهما معا ... ولديهم مسدس واحد؟! إلا أن صوت الأزيز زاد من ناحية المصعد ... فاختبأ «أحمد» و«بو عمير» خارج القاعة حتى لا يراهما الداخل إليها من الباب الآخر ... وبعد لحظات امتلأَت الغرفة بالرجال وكانت «زبيدة» قد لحقَت بـ «أحمد» و«بو عمير»، فمالَا على «كاتي» يفكَّان قيدها ... وبدأ حديثًا قصيرًا جدًّا، خرج أحدُهما يجري في حذر في اتجاه الشياطين، وخلفه آخر فتركاه ... حتى أصبح على حافة السطح الخرساني ... وقبل أن يستديرَ لهم قال له «أحمد» في صوت خافت: لا تلتفت. وخرج الآخر يستطلع الأمر ... فسمع نفس التعليمات من «أحمد» ... وفي هذه اللحظة ... ظهرَت عربة التلفريك تتقدم في بطء عن بُعد وبها مصباح صغير مضاء ... فقال «بو عمير»: الآن سيظن «ألبرتو» أنهم سيقتلونه.

أحمد: المهم الآن كيف سنحصل على أسلحة هذين الرجلين ... دون أن يرانا «شارتز» ورجاله!

زبيدة: أأمر أحدهما أن يأتيَ بظهره.

فأمره «بو عمير» وعاد الرجل يسير بظهره، حتى اقترب منهم، فقال له «أحمد» هذا يكفي، ثم مدَّ يدَه وأخذ بندقيته النصف آلية قائلًا: تكفينا هذه ...

إلا أن «بو عمير» قال له: عُدْ إلى زميلك وقُل له أن يفعل مثلما فعلت ... ومثلما فعل «أحمد» مع الرجل ... فعل مع زميله ... وحصل «بو عمير» هو الآخر على بندقية نصف آلية.

وكانت عربة التلفريك قد اقتربَت ... فأمر «أحمد» الرجلَين أن يبتعدَا عن الطريق وأن يرفعَا أيديَهما بالتحية إلى «ألبرتو» ومَن معه.

توقَّفَت عربةُ التلفريك أمام السطح الخرساني، ونزل منها «ألبرتو» الذي رفع يدَه بالتحية إلى الرجلين ومَن معهما؛ فقد ظن أن الشياطين ضمن حراس المقر ... وقد ساعدهم الظلام على ذلك ...

ودخل بخطوات واسعة إلى القاعة ... تاركًا رجالَه المسلحين خارجها ... وأحد رجاله بالعربة ... وأصاغ «أحمد» السمع، فسمع «شارتز» يقول له: ألم ترَ «أحمد زايد» في الخارج؟

فردَّ عليه: إنه لا يوجد إلا رجاله، ولكنه تعجَّب لسلبيته معهم.

فرد «شارتز»: بأنه أرسل اثنين من رجاله لتعقُّبهم.

ألبرتو: تقصد أن مَن بالخارج رجلان فقط من رجالك؟

شارتز: نعم.

شعر «أحمد» أن هذه هي اللحظة المناسبة للتدخل ... وقبل أن يأمر «ألبرتو» رجاله بالتدخل. كانت بنادق الشياطين النصف آلية تُسقطهم من أعلى الجبل إلى قاعدته ... فانهالَت عليهم برصاصات الرجل الموجود بعربة التلفريك ... وخشي «أحمد» أن يعودَ مرة أخرى بالعربة ... ويحضر لهم إمدادات من رجال العصابة، فقرر ألَّا يترك لهم طريقًا للهرب فصوَّب إليه بندقيتَه ... وتَحين فرصةُ اقترابِه من شباك العربة للتصويب عليهم، فأرسل إليه رصاصةً أسقطَته قتيلًا ... وبعدها ساد الهدوءُ لفترة ... سمع خلالها الشياطين أزيزَ المصعد الخلفي ... فعرفوا أنهم في طريقهم إلى «المصيدة»، فألقى نظرة سريعة على القاعة فوجدها خالية، فدخل في خفة وحذر حتى بلغ بابها الخلفي. ففتحه بقدمه ... مُصدرًا بندقيته ثم وقف في مواجهته ... ونظر لأسفل ... فوجد المصعد يهبط ببطء ... فرفع بصره لأعلى ... فوجد محركًا كهربائيًّا معلَّقًا على عدة قضبان حديدية مثبتة بجسم

الجبل، فوجَّه إليه بندقيتَه ... أطلق عدة رصاصات ... أوقفَته عن العمل ... فتوقَّف المصعد في منتصف الطريق وتصايح الرجالُ الراكبون فيه في ذعرٍ. في اللحظة التي كان الشياطين يتصلون فيها برقم «صفر» ... ليُخبروه أنهم قبضوا على أحد زعماء مافيا تجارة السلاح ... وأحد أهم أعضاء «سايبرسبيس» ومعه ثلاثة من رجاله ... وأنهم منهكو القوى ... وجوعى ... لكنهم سعيدون بانتهاء أول خطوة في الطريق للقضاء على «سايبرسبيس».

وإلى اللقاء في الجزء الثاني[١]

[١] الجزء الثاني هو ثورة الأخطبوط (الناشر).

هنـــداوي